



القس لوسيان جميل و نكران الاصل – تكملة من الصفحة الرابعة

غرار ما كان لويس الرابع عشر، ملك فرنسا يقول: " انا الدولة والدولة انا "، وهو ما نعتبره قمة الاعتداء على الكنيسة في هذا الزمن. وبما ان البطريرك يعرف ان هذا الهدف لا يتحقق بسهولة في عالم ابتعد عن حضارة الملك لويس الرابع عشر الاقطاعية الثيوقراطية كثيرا، لذلك نراه يلج بأسم المسيح، على ابناء الكنيسة، ولا سيما على القسس منهم، لكي يقدموا له ولاء الخضوع والطاعة ويقبلوا كل توجيهاته بدون معارضة، كما يفعل العبيد مع ساداتهم. لذلك اصبحت عبارة الطاعة على لسان غبطته مثل نغمة متكررة ومملة تخرج من اسطوانة مجروخة، ولا سيما عندما يكون حديث البطريرك موجها الى الكهنة. كما ان البطريرك لا يتورع عن استخدام اسلوب الوعد والوعيد للحصول على مآربه، وهو ما يسمى احيانا باسلوب العصا والجزرة. كما انه يستخدم اسلوب التكتلات والرشاوي البعيد عن الروح المسيحي، لاجل الغاية ذاتها. فطوبى لمن يحظى ببركة البطريرك فإنه يصير اكثر بياضا من الثلج حتى ولو كانت خطاياهم حمراء كالقمرز، والويل لمن لا يرضى عنه البطريرك فإنه ينعته بشتى النعوت، حتى لو كان قديسا. فالامر، عند البطريرك، لا يتطلب اكثر من كلمة بقولها بحق هذا او ذاك من الناس بشكل مزاجي وبراغماتي لا يبالي بالحقيقة الموضوعية.

اما اولى محاولات غبطة البطريرك العنيفة للسيطرة على الكنيسة الكلدانية فقد بدأت بالسيطرة على الاعلام الكنسي، كما هو معروف. وقد مارس غبطته اساليب التهديد العنيفة من اجل الوصول الى هذه السيطرة. وقد وصل الامر بغبطة البطريرك في مجال السيطرة على الاعلام الكنسي اعلى درجات الاستبداد، يذكرنا باستبداد محاكم التفتيش في القرون الوسطى. وقد طال استبداد غبطته مجلة الفكر المسيحي التي ليست تابعة له ولا تتعلق بكنيسة الكلدان الا من حيث التوزيع. وهكذا فقد حذر غبطته مسؤولي المجلة من انه سوف يمنع توزيعها في الكنائس الكلدانية اذا ما اقدمت على نشر مقال لا يروق له، او سبق وارسل الى مجلة نجم المشرق ورفض نشره. كما كان قد حذر مجلة الفكر المسيحي من نشر مقالات القس لوسيان، مهما كان نوعها. أما مجلة نجم المشرق فأنها لا تحتاج الى اذار لانها تعرف الاوامر قبل صدورها. اما ما حصل مع الاب بيوس ومع كتابه الاخير المترجم، فيعتبر في غاية العنجهية واللامبالاة بالحقيقة، وهو امر لا يحدث الا عندما تكون الكنيسة قد وصلت الى قعر التدهور الاخلاقي يوازي ما كان قد وصل اليه الفريسيون في وقت يسوع، وما كانت قد وصلت اليه الكنيسة قبل قيام الحركة البروتستانتية مباشرة.

ولكننا هنا، ورغم كل شيء، نقول لغبطة البطريرك انه مهما تجبر وتمادى في اذية الاخرين فإن الله اقوى منه كثيرا وأن الحق اكبر منه. فإذا كان البطريرك واعوانه حريصين حقا على مصلحة الكنيسة ومصلحة الايمان فليرفعوا ايديهم عن هذه الكنيسة المسكينة التي ابتليت بضحالتهم الايمانية، او يرحلوا عنها نهائيا، ولا سيما الان بعد أن بدأت الكنيسة الكلدانية تطبيق على مضمض مقررات المجمع المسكوني بشأن تقاعد الاساقفة، لكي تنتهي الاسطورة التي تجعل الكنيسة اقطاعية تعود الى رؤسائها الكنسيين، يتصرفون بها وفق هواهم. فهل يعقل بعد هذا كله ان يتعجب غبطة البطريرك مما كتب القس اسعد، ويتنمر مما يكتبه الآخرون، بعد ان حرّمهم من وسائل التعبير الاعتيادية في كنيستهم، بطريقة استبدادية تخجل منها حضارة اليوم، وبعد ان وضع حلقة في انف الكنيسة الكلدانية واخذ يجرها من انفها الى حيث تقوم مصلحته؟! كلا ان ذلك لا يعقل. ولكن البطريرك يتظاهر بالتعجب لكي يقدر ان يحرق الاخضر واليابس معا، عن طريق الالتباس الذي خلقته رسالة القس اسعد. وعلى اي حال، فأنا لا زلنا على وعدنا بأن نكشف لغبطته سر غضب الكثيرين عليه، جراء تصرفاته المؤذية في الكنيسة، اضافة الى كل ما ذكرنا في الفقرات السابقة.

وبما اننا سبق وذكرنا قضية القس لوسيان ساكو فأنا نقول ان هذه القضية التي سبق وكتبتنا عنها، بعنوان ضربة تحت الحزام، هي فقط واحدة من القضايا التي تستحق نقمة المؤمنين، ولا سيما الكهنة منهم، بسبب التعسف الذي يمارسه رؤساء كنيستنا ضدهم، ولا سيما غبطة البطريرك، بحرمانهم من المشاركة الحقيقية في امور كنيستهم. اما اذا اردنا عد القضايا الظالمة التي ارتكبها البطريرك ضد مؤمنيه فهي كثيرة لا تحصى، لان حياة غبطة بطريركنا الكنسية كلها، منهجا وفعال واردة، تجاهل للاخرين ولحقوقهم، وتخط لارادتهم. فقد سئل الجمل يوما عن سر اعوجاج رقبته فاجاب: اي شيء في غير اعوج حتى تعيوني على اعوجاج رقبتي؟! لذلك نقول لغبطته ان منهجه الكنسي باكملة منهج غير كفوء واستبدادي ومؤذ لمن لا يشاركه خياراته. كما ان هذا المنهج يعوزه الاخلاص والصدق والشفافية، ويستحق شجب المؤمنين. وقد تحول غبطة البطريرك بمنهجه هذا، الى ذلك الحجر الثقيل الذي " ان وقع عليه احد يسحقه، وان وقع على احد يذريه ". لذلك سوف يواصل المؤمنون الصادقون في كشف مواطن الخلل الرهيب الذي ينخر جسم كنيستهم، اذ لو سكت هؤلاء لنطقت الحجارة نفسها، كما يقول الانجيل، بعيدا عن المساس بشخص البطريرك او غيره ممن نتكلم عنهم ونحاول جهد

رسوليا لتفقد احوال الكنيسة الكلدانية وتنتظر في مشاكلها. وقد اعتبر غبطة البطريرك هذا العمل بمثابة اهانة للجلالة les Majeste في كنيسة لايقبل البطريرك ان يعلو فيها صوت على صوته. وبما ان غبطة البطريرك كان يعرف انه لايقدر ان يعاقب القس لوسيان على ما عمله، بسبب شرعية هذا العمل، فقد استفاد من صلاحياته التقليدية التي ما انزل الله بها من سلطان، وضرب ضربته، تخلصا من القس لوسيان وانتقاما منه على تدخلات في امور، يعتبرها البطريرك حكرا عليه وعلى سلاطينه الآخرين، كما يعتبرها خطرا على منهجه الاستبدادي العابت بالكنيسة الكلدانية. اما رسالة الاب لوسيان فلم تكن سببا ولكنها كانت فقط القشة التي قصمت ظهر البعير، كما يقال. وقد كان على القس لوسيان ان يتذكر ان البطريرك هو الكنيسة وان الكنيسة هي البطريرك. كما كان عليه ان يتذكر ان البطارقة ايضا ينتقمون بوسانهم الخاصة. ولمن صادف ان قرأ قصة بعنوان: بغلة البابا، للكاتب الفرنسي الفونس دوده، يعرف كيف يمكن لبعض الرنسات الكنيسة ان تنتقم من خصومها، حتى ولو كان ذلك بعد عشرين عاما. وبما ان القس لوسيان لم يعرف ذلك، كانت النتيجة وبالا عليه، اذ حسب غبطته انه جعله عبرة لمن يعتبر. ولكننا نقولها بقوة لمن يريد ان يفهم: ان المخلصين والمؤمنين بقضاياهم لا تهمهم ضربات البطريرك الظالمة ولا اجرائاته التعسفية مهما عظمت، لان الحقيقة اكبر من الظالمين .

وفي الواقع كيف يقدر المخلصون ان يتخلوا عن قضية تحرير الكنيسة الكلدانية من عبث العابثين في وقت نسمع كلنا جعجعة في طاحونة هذه الكنيسة ولا نرى فيها طحيناً؟! يعود سبب هذا الخواء الى ان غبطة البطريرك نفسه، ومن جثم معه على صدر الكنيسة الكلدانية من السلفيين والرجعيين، لا يضعون حنظلتهم في طاحونة يسوع المسيح، بل يضعونها في طاحونة اخرى تسمى احيانا عقيدة، او مؤسسة، او تسمى تراثا، او طقوسا وشعائر، او تسمى امة كلدانية. فطاحونة البطريرك تحمل اسماء كثيرة، باستثناء اسم المسيح. لقد كان الفيلسوف الروماني ديوجين يحمل مصباحا في النهار ويقول: انه يفتش عن انسان. اما نحن الباحثين عن الحقيقة في كنيستنا الكلدانية، وربما في كنائس كثيرة غيرها، فأنا نحمل مصباحنا ايضا، لكي نجد بين السلطات الكنسية مسيحيا واحدا يحمل المسيح حقا. ولكننا، مع الاسف تعبنا من البحث دون جدوى. وبما ان البطريرك هو كما عهدناه وعرفناه دائما: انسان براغماتي وماكيافي، فإنه لم يتردد في ان يعمل مع القس لوسيان بالمثل القائل: " الكوة التي يأتيك منها الريح، سدها واستريح ". كما لم يتردد سابقا ان يعمل بالمثل عينه في ما يخص حق القس لوسيان في الكتابة في مجالاته الكنسية. ولكن، لكي يسد البطريرك هذه الكوة جيدا كان عليه ان يهمل كل الاعتبارات الكنسية التي تقضي باستشارة السنهادوس البطريركي في مثل هذه القضايا ويتحمل غضب الاساقفة الذين لا يقبلون ان يتخطاهم البطريرك كثيرا الى هذه الدرجة. كما كان عليه ان يهمل كل الاعتبارات الاخلاقية والمواعيد التي كان قد قطعها للقس لوسيان، ويهمل نداءات القاعدة المؤمنة التي شجبت هذا العمل، ويتحمل كراهيتها له ونقص احترامها بشخصه، سواء كان ذلك في السر ام في العلن. كما كان على غبطته ان يحسب حساب رسائل القس لوسيان الي تقض مضجعه ومضجع المنكثلين معه بحقيقتها الناصعة. ومن يدري! لربما عمل غبطته على ترقية القس سرهد الى الاسقفية لكي يسد الكوة التي ظلت ردحا طويلا من الزمن تعطي رياحا فاسدة لكنيستنا الكلدانية ولغبطة البطريرك ذاته. فسد البطريرك هذه الكوة النتنة بهذه الطريقة العجيبة، اضافة الى سبب التوافق اذ حصل بين طروحات سرهد القومية في الكنيسة والطروحات القومية عينها التي ظهرت عند غبطته منذ عام 1997، والتي ادت الى طرح شعار الوحدة بين الكنيستين الكلدانية والاشورية المزيف.

فهل بعد هذا يقدر غبطة البطريرك ان يدعي انه لا يعرف ماذا عمل لايبناء الكنيسة، ومنهم القس اسعد، من اذى ومن ظلم واغتصاب حقوق؟ ام انه يتجاهل المعرفة، لامر ما في نفسه؟ فإذا كان غبطته لا يعلم، فتلك مصيبة تتعلق بشفافية غبطته وحقيقة ايمانه وعمق شعوره بالمسؤولية تجاه من يتراأسهم، ويفترض فيه ان يحبهم ويحترمهم ويتعاطف معهم ويشعر بشعورهم ويحترم عملهم وكفاءاتهم وخياراتهم، حتى اذا كانت هذه الخيارات تتعارض مع خياراته ولاهوته. اما اذا كان غبطته يعلم ما يسببه من اذى وهضم لحقوق الآخرين في الكنيسة الكلدانية، ولا يبالي بما يفعله، فالمصيبة اعظم. ذلك اننا في هذه الحالة سوف نكون ازاء راع غير صالح لايهمه بقطيعه، بل يهتم بنفسه وباهدافه الخاصة فقط، واهداف التكتل الرجعي الذي يتزعمه والذي يشبه التكتل الفريسي في ايام يسوع المسيح، والذي تعاني منه الكنيسة كثيرا بسبب شرارته وعنفه واستبداده وقلة صدقه ونزاهته. علما بان غبطة البطريرك يسخر هذا التكتل ليحقق لنفسه كنيسة يقدر ان يقول فيها: " انا الكنيسة والكنيسة انا "، على